مجلة جامعة بابل/ العلوم الإنسانية /المجلد ٢٥/ العدد٢ :٢٠١٧

# نظرية الحركة عند السيد محمد حسين فضل الله وأثرها في تطوّر الدّرسِ التّفسيريّ

رحيم كريم علي الشريفي أنور أكرم فاضل حسوني
جامعة بابل /كلية الدراسات القرآنية
anwar.akram29@gmail.com Rahim.2 alsharifi@gmail.com

**الخلاصة**

النظرية الحركية التفسيرية عند السيد فضل الله هي جعل القرآن يتحرك في الساحة ، في ضوء تمثيل الخطاب القرآني على الواقع في ظلّ حياة الإنسان ومجالات حياته ، يتمثّل ذلك في ضوء إثارة الواقع الحركي الإسلامي في كلّ موقع من مواقع الصراع الفكريّ ، والسياسيّ ، والاجتماعيّ ، والجهاديّ ، ليتحرّك القرآن وسط الساحة ، وفي ميادينها وأحداثها أجمع، وتفسير (مِن وحَيْ القُرْآن) وهو من التفاسير التي أضاءت جوانب المعرفة التي جاء بها القرآن الكريم ، ولاسيما أن السيد فضل الله استنطق آياته في ضوء الواقع ، إذ تجلّت آياته في الحياة، وتعد هذه المقاربة التفسيرية للنص القرآني طريقًا من طرق التفسير المهمة ؛ لأن القرآن الكريم كتاب بصائر فكرية وروحية وتربوية للإنسان ، فكان البحث من الموضوعات التي تحاكي الواقع، وتلامسه، وتعالج قضايا العصر الجديرة بالدراسة .

**الكلمات المفتاحية** :النظرية ، الحركية ، التفسيرية ، فضل الله ، وآثرها .

**Abstract**

Kinetic theory explanatory when Fadlallah is to make the Koran is moving in the arena, in light of the representation of Quranic discourse on reality in the light of human life and the areas of his life, is in the light of provoking Islamic motor located in each of the ideological conflict locations, and political, social and jihad, to move Koran middle of the square, and in the squares and the whole events, and interpretation (inspired by the Koran), one of the interpretations that lit up aspects of knowledge That was brought by the Koran, and in particular that Mr. Fadlallah questioned verses in light of the fact, as demonstrated by his signs of life, and the longer this approach explanatory text Quran

**Keywords**:Theory, kinetic, explanatory, Fadlallah, its impact .

## المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنعم الذي تظاهرت آلاؤه ، وترادفت نعماؤهُ، حمدًا يستوجب زيادة فضله ، أحمده حمدًا يكون سببًا في مرضاته وأشكره شكرًا يكون مُقِرّبًا من الفوز بجناته ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمّدٍ (صلّى الله عليه وآله وسلم) الهادي الأمين والسراج المنير ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين مصابيح النور وسفن النجاة .

أما بعد :

فلا جَرَم أن القرآن الكريم كتاب بصائر فكرية وروحية وتربوية للإنسان ، وهو الهبةُ الإلهيّة التي مَنّ الله (عزّوجلّ) بها على الإنسان بتنزيله على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، القرآن نور يُنير القلوب، ودواءٌ يسكن الآلام ويشفي الصدور، وهو موعظة ينّبه الإنسان على الغفلة ،وهو الدليل يدلّ على خير سبيل، ويعد تفسير (مِن وحَيْ القُرْآن) للسيد محمد حسين فضل الله مشروع فكري متجدد ، ذا بعد حركي يهتمُّ بمعالجة قضايا الفرد والمجتمع ، وأحداث تغيّر في المجتمع، وقضايا العصر؛ عن استنطاق آيات القرآن الكريم على الواقع وجعل القرآن يتحرك في الساحة، ومن حسن حظي وسعادة طالعي أن يكون موضوع

البحث(نظرية الحركة عند محمد حسين فضل الله وأثرها في تطوّر الدَّرْسِ التَّفْسيرِيّ) يتناول ما استوحاه السيد فضل الله من القرآن الكريم ، ومن فكر أئمة اهل البيت (عليهم السلام) ، من بنية فكرية ، وتربوية ، قد اتّسَمَ بخصائصَ، من أهمها الربانية ، والمسؤولية ، والأخلاقية ، والتغييرية ، والواقعية، في ظلّ بناء الإنسان المؤمن.

وبعد استقراء وإحاطة شاملة بالموضوع شرعت برسم خطة تفصيلية تتناسب مع طبيعة البحث، ووجدت أن تقسّم على مطلبين : ضم المطلب الأول : مفهوم النظرية الحركيّة في التفسير عند فضل الله ، وتناول المطلب الثاني : مرتكزات التفسير التي اعتمدها فضل الله في تفسيره، ولابُدّ من القول: إنَّني بذلت جُهُودًا لازمةً ، فإنْ أصبْتُ منها ونِعْمَتْ، وإن كانت الأخرى، فإنّي سَعَيْتُ متمثلًا لقوله تعالى:﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۞ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ۞ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴾ (سورة النجم/٣٩-٤١) .

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربّ العالمين

**المطلب الأول : مفهوم النظرية الحركيّة في التفسير عند فضل الله**

**أولًا : مفهوم النظريّةُ الحركيّةُ في التفسير عند فضل الله :**

نظرية الحركة في التفسير تتمثّل في ضوء إثارة الواقع الحركي الإسلامي في كلّ موقع من مواقع الصراع الفكريّ ، والسياسيّ ، والاجتماعيّ ، والجهاديّ ، ليتحرّك القرآن وسط الساحة ، وفي ميادينها وأحداثها أجمع[١]، لأن القرآن الكريم المصدر الأوّل والأساسيّ لوعينا، وقيمنا وسلوكيّاتنا، وشريعتنا، ومفاهيمنا عن الكون والإنسان والحياة ، وهو بإجماع المسلمين ( المصدر المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ) وعليه ، فهو المصدر الأوّل لثقافاتنا الإسلاميّة هذه الثقافة المستندة إلى ثوابت العقيدة في أصولها وفروعها، ومتحرّكات المفاهيم في مبانيها، ومعانيها، ودلالاتها وفضاءاتها الممتدّة في الزمن ، ولا يغيّر من هذه المضامين اختلاف المسلمين في تفسيره واستنطاقه، المهمّ أن يكون التعامل مع النصّ القرآنيّ تعاملًا حيويًّا يلحظ وبشكل دائم تطور الحياة البشرية ، وتجدّد أسئلتها المقلقة ، فيتمّ استلهام الإجابات الشافية حول هذه المستجدّات المستدامة من روح النصوص القرآنية ، وبالشكل الذي يعكس روح المعاصرة ، والمعايشة للنصّ القرآنيّ ، الذي لا تؤطّره مناسبات نزول النصّ ، أو تعلّبه في لحظة زمنيّة محددة ، أو تأسره في حدود زمانيّة تؤيد معانيه ودلالاته ، وتعيق إمكانيات سبر مقاربته الحركيّة، فالملاحقة الدائمة للتناصّ بين الواقع المتحرّك، والنصّ المتفاعل يفرض دائمًا اجتهادات في فهم آياته ونصوصه ، فلا مسوّغ للتجمّد أمام ما انتجه السابقون من تفاسير، ولا استسلام لما طبع حياة الأوائل من وقائع ، بل استمرار في استدرار المعاني في سياق حركتي الواقع والزمن ، إذ لا قداسة لما أنتج في مرحلة ما إلا بالقدر الذي تملك هذه الاجتهادات قوّة الاستمرار في الحركة باتجاه المستقبل [٢].

ويرى فضل الله أنَّ القرآن الكريم كتاب الدين المتحرّك ، وكتاب الدعوة الجديد ، كان يرافق الحركة، ويطلق الآية في حركة الواقع ، والحدث يتحرك ، والقرآن يرافقه ، وكانت المعركة تنطلق في ضوء الإشارة القرآنية، والقرآن يتحرّك وسط المعركة ، ثم يأتي بعد ذلك ويقيم المعركة ،كما نقرأ في معركة أحد ، إذ إن الآيات التي نزلت بعد هذه المعركة _ أو لم تُدرَسْ هكذا؟ ؛ لرأيناها تتحدث عن السلبيات التي كانت تعيش في داخل المعركة – لينتبه إليها المسلمون في المستقبل ، وتتحدّث عن الايجابيات التي كانت في داخل المعركة ، ليعمل المسلمون على الاستزادة منها في المستقبل ، وهكذا الآيات التي تتحدّث عن معركة بدر، أنها كانت تقيّم المعركة، وتقيّم المسلمين ، وذلك بإثارتها نقاط ضعفهم ، ونقاط قوتهم ، وفي الحديث عن جانب الغيب ، كيف كان يتحرّك من أجل أن يعطي قوة معنوية للمقاتلين ، وكذلك في الحديث عن بقية الجوانب ،

وهكذا نجد أن القرآن الكريم يواجه الواقع المنحرف، ويعالجه بحكمته وديمومته وعالميته ليؤكد القيمة الاخلاقية في ضوء حركة الواقع ، كوسيلة من وسائل جعل القيمة الاخلاقيّة أو الروحيّة تتحرك من موقع الواقع [٣]، لأن جوهر القرآن الكريم هو أنّه كتاب الإسلام الحركيّ ، كتاب الثقافة المتحركة ، القائمة على أسس ومقومات عقلية وموضوعية وتخطيطية ، بعيدة عن العفوية والارتجال ، وعدم الدقة في التقدير ، وتسلّط الأضواء على جوانب الوجود
الإنساني جميعها، العقلي منها، والوجداني المادي والروحي ، فهي تكلّم العقل أولًا ، وتتناول الروح ثانيًا، والفطرة ثالثة، وتمزج بينهما أخرى، من أجل الحصول على الإيقاع المناسب في داخل النفس الإنسانية، للاستجابة إلى نداء الحق ، ومنطق الفطرة [٤]، وعلى هذه القاعدة جرى الإسلام في وضع شرائعه ، وتأسيس أحكامه ، فكانت من هذا الطراز المحكم الذي يتطّلع إلى الحياة كِلَّها ، ليحرّك طاقاتها، وليبدع فيها ، ولينطلق الإنسان متحّمِلًا مسؤولياته عن إعمار الحياة من الناحية المادية، والأخلاقية، والروحية [٥].

اعْتمد فضل الله على هذه الخاصية المنهجية العلمية التي انفرد بها القرآن الكريم ، دون غيره من سائر الكتب ، فأخذ منه فكرته واستوحى منهجه القيّم الذي يقتضي معالجة الواقع، وتصحيح مسار المستقبل ، ولقد اتخذت حركة السيّد فضل الله جانبين: الأول : استيحاء النص القرآني ، ووعيه وفهمه وأخذ عنه عبرته وفكرته . الثاني : تمثيل هذا الفكر المستوحى من النص على الواقع ؛ أي تفعيل النص القرآني على ميادين الحياة جميعها، لكي يبني الشخصية المسلمة الهادفة الواعية ، ويبني المجتمع ، فيرتكز الوعي والنضج ، وتتضح الفكرة، وتتّسع المسؤولية التي يحملها الإنسان ، ويتحرّك في ضوئها ، ويتعامل في أجوائها مع منهجه الفكري ، حتى تكون عنده فكرًا حيًّا متحرّكًا فاعلًا ثرًّا متدفّقًا بالعطاء ، ومتوازنًا فطريًّا ، هادفًا في الحياة .

ومن أجل استجلاء الفكرة وضوحًا، حتى يتيسَّر لنا فهم نظريته الحركيّة ، لابّد لنا من ذكر نماذج قرآنية من تفسيره .

ففي قوله تعالى :﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ( سورة الأعراف /١٩٩ ) ، يرى فضل الله أن هذه الآية الكريمة تؤكّد على دراسة الواقع الفكري والنفسي لمجال الدعوة، وتمثيل العفو بوصفه خطًّا عمليًّا للتعامل مع الناس في أجواء الدعوة فيما يواجهه من حالات التشنّج والتمرّد،(( لأن المسألة لدى الرسول أو الداعية ليست مسألة مزاج يبحث عن منفذٍ للتنفيس ، ولكنها مسألة دعوةٍ تفتّش عن مدخل إلى فكر الآخرين للحصول على قناعاتهم ، ممّا يخلق بعض التعقيد في مواقفهم ، وبعض السلبيات الذاتية في ردود فعلهم، فلابُدّ من اتّباع الأسلوب الذي يتحرّك بالتوازن في عرض الفكرة ، وبالتسامح في مواجهة ردود الفعل، وبالتّسهيل والتيسير في إعطاء المسؤوليات ، ولا يكلّفهم من أمرهم عسرًا ، ثم يؤكّد لزوم أن يكون الداعية عارفًا بالواقع الفكري والنفسي لهؤلاء في عملية التخطيط لمواجهته بالحكمة الواعية التي تفرض الإعراض عنهم في أكثر الحالات ، لأن الخضوع لأساليب ردود الفعل يؤدّي إلى أن يتحوّل الموقف إلى ساحة للسباب ، وللكلمات القاسية ))[٦]. زِدْ على ذلك يُثيرُ العصبيّة ويحجب الرؤية في الأفكار والمشاعر ، ويبعد المواقع عن الحصول على مكاسب إيجابية في مصلحة الرسالة ، بينما يؤدّي التعالي عن هذه الأساليب إلى إبعاد الساحة عن أجواء الحقد والبغضاء ، ويفسح المجال لمرحلة اطمئنان وسلام من الهدوء النفسي الذي يبعث على التفكير، ثمَّ إلى الحوار، عندما تهدأ الضجّة ، ويستعيد هؤلاء بعض عقولهم في مواقع الصراع[٧].

وإذا ذهبنا إلى قوله تعالى : :﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ ﴾( سورة ال عمران /١٠٣) أطلقت الآية مَبْدأً يدلّ على الوحدة والاعتصام بحبل الله(جلّ جلاله)، وحبل الله هو : (( الكتاب المنزل من عند الله، وهو الذي يصل ما بين العبد والرب ، ويربط السماء بالأرض))[٨]، ويرى فضل الله في ظلّ معاينته

الفاحصة للنصّ القرآنيّ ، أنَّ القرآن الكريم يؤكّد الأساس الثابت ( الاعتصام بحبل الله ) الذي بواسطته تنطلق منه الوحدة الإسلاميّة ، بل الوحدة الإيمانيّة في أُسلوب إيحائيّ يربطُ الهدف بالقاعدة في مسار لا يترك مجالًا للإنحراف أو الضلال ، في توجيه المجتمع .

وتأسيسًا على ذلك يرى أن من اللازم أنْ يلتمَّسَ المسلمون الركائز التي ترتكز عليها الوحدة في ضوء ما يلتقون عليه من مبادئ الإسلام ومفاهيمه العامّة ، ليشعروا بالوحدة الفكرية والعملية التي تجمعهم ، ويتركوا ما اختلفوا فيه من ذلك ، فيرجعوا فيه إلى الله ( جلّ جلاله )، والرسول( صلى الله عليه وآله وسلم) في ما أفاض فيه القرآن من أساليب وقواعد للحوار من أجل الوصول إلى الحقيقة ، ويبتعدوا عن الاستغراق في خلافاتهم من مواقع العقدة الطائفية المشّبعة بالحقد، و الضغينة ومختلف عوامل الإثارة ، فإن السير على هذا الخطّ ينطلق من الاعتصام بحبل الله، الذي يجمع، ولا يفرق[٩].

ويستشرف فضلُ الله_ في ضوء عرض منهجه الحركيّ في التفسير_حقيقةً أخبر عنها بقوله : ((أمّا منهجنا في التفسير فهو إستيحاء القرآن بأن نستوحي ما يحدّثنا القرآن فيه عن الماضي للحاضر وللمستقبل، ونستوحي النماذج الصغيرة للمعاني الكبيرة؛ لأن القرآن (( يجري مجرى الليل والنهار ومجرى الشمس والقمر)) فإذا نزل بقوم لا يختصّ بهم ، ولذلك نحتاج إلى أن نمدّ القرآن في حركة الإنسان في الحياة حاضرًا ومستقبلًا ، لأن القرآن عندما يحدثنّا عن أناس في الماضي، فإنه يحدثنا عن نماذج معينة،وهذه النماذج كما هي موجودة في الماضي، فإنها موجودة في الحاضر أيضًا ، كما نحاول أن نستوحي القرآن لننطلق من الماديّ إلى الحسّي إلى المعنوي ، وننطلق من النماذج المحدودة إلى النماذج الواسعة والمطلقة ))[١٠].

ويبدو أن بواعث النظرية الحركية ومنابعها مستسقاة من فكر أئمة أهل البيت (عليهم السلام) فيما ورد عنهم، فقد روى العياشي (ت ٣٢٠ ه) عن الإمام الصادق ( عليه السلام ) (ت١٤٨ه) : (( أن القرآن حيٌّ لم يَمُتْ ، وإنه يجري كما يجري الليل والنهار ، وكما يجري الشمس والقمر )) ، وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر (عليه السلام)(ت١١٤ه) : (( لو أن الآية إذا نزلت في قوم ، ثم مات أولئك القوم ، ماتت الآية ، لما بقي من القرآن في شيء ، ولكن القرآن يجري أوله على أخره ما دامتِ السماواتُ والأرضُ))[١١]، )، وأفاد من الحديث المروي عن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ (سورة عبس /٢٤) قال (عليه السلام): (( علمه الّذي يأخذه ممّن يأخذه ))[١٢].

ناقش فضل الله هذا الاتجاه التفسيري ، وأفاد من منهجيته في التفسير ، بقوله : (( فإنَّ من الواضح أنَّ العلم لا يمكن أن يكون مدلولًا لكلمة الطعام هذه الآية ، حتى تصورنا أنَّ هناك طعامًا للعقل بالإضافة إلى طعام الجسد ، لأن الآيات الأخرى تؤكّد أنّ المراد به الغذاء المادي الذي ينطلق من النبات ، وهي قوله تعالى :﴿ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبًّا ۞ ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا۞ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۞ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا۞ وَحَدَائِقَ غُلْبًا۞ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَّتَاعًا۞ لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ ( سورة عبس / ٢٥-٣٢ ) ، فإنَّ هذا كلّه لا ينسجم مع مدلول العلم كما هو واضح ، لكنّ الإمام ( عليه السلام ) أراد أن يستوحي من هذه الكلمة ( الطعام ) معنى العلم، باعتبار أنَّ الكلمة، في إيحاءاتها ، تجتذب الجانب المعنوي للطعام الذي هو نعمة إلهية تزيد أهميتها على النعم الإلهية المادية المغذية للجسد ))[١٣] .

في ظل ذلك أدرك فضل الله حركية الخطاب القرآني، ونبع فكره حتى أصبحت طريقًا ينير منهجه التفسيري ، وفي ضوء ذلك يقول : (( نرى ضرورة دراسة هذا الأسلوب الاستيحائي القرآني في التفسير ، لأنَّه الأسلوب الذي يجعل الإنسان ينطلق من الآية إلى عوالم أخرى ، من خلال طبيعة الغايات التي تتحرّك إليها ، مما تلتقي به في أكثر من أفق ، في نطاق القواعد الإسلامية والعربية العامة ، وهذا هو الذي يجعلنا

ننتقل من الصورة المادية إلى الصورة المعنوية، ومن التجربة التاريخية للمجتمع الذي نزل القرآن فيه، وعالج مشاكله وتحدياته وقضاياه ، إلى التجربة الجديدة التي نواجه فيها تحديات الواقع ومشاكله ، الأمر الذي يجعل للقرآن صفته الحركية إلى جانب الصفة التشريعية والتوجيهية والوعظية ونحو ذلك))[١٤] .

يتجلى لنا : أن منهجه التفسيريّ هو أسلوب استيحائي يتحرّك في إطار الوحي القرآنيّ لحركة الدعوة في الحياة ، عن طريق استيحاء مفاهيمه، وأحكامه، وقيمه، ومبادئه، ومواعظه، وإرشاداته ، وأساس ذلك جعل القرآن يتحرّك في الساحة .

وإذا ما رحنا إلى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾(سور الأنفال/٢٤) يدعونا القرآن الكريم في هذه الآية إلى الحياة ، وقد جاءت احتمالات عدة في التفاسير لكلمة (الحياة ) منها :

١- الحياة هي الدعوة إلى الإيمان أي: يُحْيِيكم بالإيمان .

٢- الحياة هي الدعوة إلى الجهاد أي: يُحْيِيكم بالجهاد .

٣- الحياة هي الدعوة إلى الجنة أي: يُحْيِيكم بالجنة .

٤- الحياة هي الدعوة إلى الولاية أي: يُحْيِيكم بالولاية .

٥- الحياة هي الدعوة إلى القرآن أي: يُحْيِيكم بالقرآن [١٥] .

وتَرَسَّمَ فضلُ الله حقيقة مفادها : أنّ (( الإسلام هو دعوةٌ إلى الحياة، في ما أراده للإنسان من حركةٍ ووحيٍ، ونموٍّ، وانطلاق، من خلال مفاهيمه الواسعة الشاملة التي تفتح آفاقه على الكون كلّه، ليكون ساحةً لفكره، ومنطلقاً لعمله، وتجربةً لمسؤوليته، ممّا يجعل منه طاقةً حيّةً متحركةً في أكثر من اتّجاه، ومن خلال شريعته التي تنظّم له حياته في ما يأكل ويشرب ويستمتع، وفي ما يعيش من علاقاتٍ، فيتحقّق له التوازن في ذلك كلّه، فلا تنحرف حياته إلى خطّ السلبيّة التي تهمل كلّ شيءٍ حولها، ولا تتطرّف في خطّ الإيجابية حتى تغلق على نفسها كلّ بابٍ للحرّية(...) وهكذا يمتدّ التوازن في ما بين النزعة المادية والنزعة الروحية، إلى الانسجام بين الشخصية الفردية والشخصية الاجتماعية، فيحسب لكلّ شيءٍ حسابه، ويضع كلّ شيءٍ في موضعه على أساس الحكمة والاتزان، وذلك هو معنى الحياة في حركة الشخصية))[١٦] .

ويستوحي في ضوء ذلك أهداف الإسلام للإنسان، فيراها هي أهداف الحياة عينها، فيقول : ((أمّا أهداف الإسلام في ما يريده للإنسان من أهداف وجوده، فإنّها أهداف الحياة في امتداد المعرفة وعمقها، في كلّ ما تختزنه من أسرار وتثيره من قضايا وتواجهه من أحداث، وفي ما تستوعبه من معلومات، حتّى لتدعوه إلى الإحاطة بكلّ شيءٍ من حوله، فلا يغيب عنه شيء في ذلك كلّه، وفي معنى الحرية التي تجعل للإرادة حريتها، بعيدًا عن الضغوط الداخلية أو الخارجية، في انطلاقةٍ شجاعةٍ تتمرّد على كلّ نوازعها وتحدياتها وأوضاعها، وفي حركة الرسالة في حياته، ليواجه الحياة من موقع الرسالة التي تتطلّع إلى كلّ زاويةٍ من زواياها، لتحرّك فيها القيم الروحية التي تبني للإنسان إنسانيته، وتحقّق للحياة معناها، فلا تتجمّد حياته عند حدود حاجاته، بل تتحرّك إلى البعيد في نطاق القضايا الكبيرة من أهدافه(...) وهكذا تكون التضحية بالحياة لوناً من ألوان حركة الحياة، لأن الروح تحيى في أهدافها، كما يحيى الجسد في حاجاته، وهذا ما أراد القرآن الكريم الإيحاء به عندما اعتبر العلم والإيمان والجهاد والشهادة مظهرًا من مظاهر الحياة، ولذلك كانت الاستجابة إلى الله، وإلى الرسول استجابةً للجانب الحيّ من حركة الرسالة في الحياة، وهذا ما ينبغي لنا أن نستوحيه في ما نلتقي به من أحكام الشريعة وأسرارها وقضاياها، لنكتشف في ذلك كله ، كيف تستوعب الشريعة الحياة؟ وكيف تخضع الحياة لدعوة الشريعة في ما تريد أن تحقّقه من أهداف، أو تواجهه من مشاكل وحلول؟ )) [١٧] .

استشعر فضلُ الله أن الحياة تتطلّبُ التضحية العملية من أجل الاستجابة لله ( عزّوجلّ ) والرسول ( صلّى الله عليه وآله وسلم) ، وفي ظلّ ذلك يقول محمد جواد مغنية : (( ومن أحاط بالإسلام علما يجد أن كلّ أصل من عقيدته ، وكلّ فرع من شريعته يرتكز على الدعوة صراحة أو ضمناً إلى العمل من أجل الحياة فالإيمان بالله يستدعي الإيمان بالتحّرر من العبودية إلا لله وحده ، وبأنه لا سلطان للمال ولا للجاه ولا للجنس ولا لشيء إلا للحقّ والعدل ، وبديهة أن الحياة الطيبة القوية لا توجد ، ومحال أن توجد إلا مع الالتزام بهذا المبدأ وتطبيقه ))[١٨].

**ثانيًا: مستويات حركية الخطاب القرآني عند فضل الله**

**أولًا : حركية المفردة القرآنية**

تتحرّك معاني القرآن ومفرداته ، لتعطي مداليل متعدّدة المفاهيم ، ومتنّوعة الأنساق ، حتّى نجد في المفردة القرآنية الواحدة جملة متعدّدة التركيب ، ومتّسعة المعاني ، عبّر عنها القرآن بأسلوب امتاز بجمال التنظيم، وروعة الصياغة ، والدقة في اختيار العبارات ، بأسلوب موجز، سهل ، يخلو من التعقيد ، يقول محمد العفيفي : (( إن كلام الله ، على ما جعل الله في القرآن من الإيجاز ، كثير في معانيه كثرة معجزة ، متحرّك في ثباته ، تحرّكًا معجزًا ، من شأنه أن يحرّك كوامن النفس الإنسانية ، تحرّكًا دائبًا ، كما يحرّك الله ماء البحر فلا يفسدُ ، ولا يَأْسَنُ ، وذلك كلهّ و كلمات الله ثابتة ، وإن حقّق الله بها هذه الحركة العظمى كلها ، وكذلك جعل الله آياته الكونية ظاهرة الثبات ، ولكنها باطنة الحركة ، فالقرآن هو دليل المسيرة ، وقائدها ، كما شاء الله ذلك ، وحقّقه في الواقع العلمي الذي لا ريب فيه ))[١٩].

أدرك فضل الله هذه الصفة التي تميّز بها الخطاب القرآني ، فتحصّل لديه (( أن القرآن الكريم هو التفسير الذي يمكن أنْ ننطلق فيه من خلال إيحاءات القرآن نفسه ، فالكلمة القرآنية ليست مجرّد كلمة لها معنى في القاموس، بل تحمل الكثير من الإيحاءات ))[٢٠]، فالكلمة القرآنية ليست جامدة بل متحرّكة تُعْطي إيحاءًا بعيدًا ، يقول: (( القرآن ليس كلمات لغوية تتجّمد في معناها اللغوي، بل هي كلمات تتحرّك في أجواء روحية وعملية))[٢١] .

فقد بيّن لفظة (الإنفاق) وذلك عندما فسّر قوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ( سورة البقرة /٣ ) . وأعطاها إيحاءً لغويًّا ذات بعد متحرّك ، وقد دلّت الآية الكريمة على الإنفاق ، يقول الطوسي ( ت ٤٦٠ه ) : (( الإنفاق أصله الاخراج ، ومنه قيل : نفقت الدابة إذا خرجت روحها))[٢١]، يستوحي فضل الله إيحاءات الإنفاق في مجالات أخرى (( كإنفاق الجاه والجهد والخبرة وغيرها من الطاقات ، لنطلب من الآخرين الذين يملكون أمثال ذلك أن لا يحتكروه لأنفسهم ، بل أن يبذلوه لمَنْ يحتاجه من الناس ، وملخصّ الفكرة : إن المؤمن يشعر بأنه مسؤول عن الإنفاق من كلّ ما رزقه الله من مال، أو علم أو جهد، أو جاه وغيره من موقع الواجب، لا من موقع التفضّل ))[٢٣]، (( فالمتّقون لا ينفقون أموالهم فحسب ، بل ينفقون من عملهم ومواهبهم العقلية، وطاقاتهم الجسميّة ومكانتهم الاجتماعية، وبعبارة أخرى: ينفقون من جميع إمكاناتهم لمن له حاجة إلى ذلك دون توقّع الجزاء منه))[٢٤].

ويتجلّى هذا الأمر، عند تفسيره قوله تعالى :﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ ( سورة النحل/١٢٥) ، إذ وقف على كلمة (الحكمة) ليعطيها بعدًا إيحائيًا ، وقد تعدّدت وجهات نظر اللغويين والمفسرين في تحديد معنى لهذه الكلمة ، إذ ذهب الخليل إلى أن : (( الحكمة : مرجعها إلى العدل والعلم والحلم ))[٢٥]، وقال السمين الحلبي(ت٧٥٦ه) : (( معرفة الاشياء وإيجادها على غاية الأحكام ))[٢٦]. وقال الطباطبائي(ت١٤٠٢ه):((إن المراد بالحكمة الحجة التي تنتج الحقّ الذي لا مرية فيه ، ولا وهن،وإبهام ))[٢٧].

وقد اعترض فضلُ الله على تقييد اللفظ القرآني بمعنى واحد ، أو معانٍ عدّة ، فيرى أن المعنى، أو المعاني التي ذكرت لـ( الحكمة ) مثلًا، هل يُمْكن عَدَّها معاني للكلمة ؟ بأن الجواب سيكون سلبًا بحسب الواقع، وهذا الأمر لا يقدحُ، أو ينقص من تشخيص اللغويين ، لأن مهمتهم ليست تشخيص المعاني الحقيقية للفظّ ، بل تشخيص موارد الاستعمال، وبيان الصحيح منها من الفاسد ، ويرى أن هذه التعابير ضيقة جعلت من الحكمة مضمونًا للدعوة ومتعلقًا لها [٢٨].

وقد أعطى فضل الله لـ( الحكمة ) إيحاءً معنويًا بعيدًا بقوله: (( فإن المراد بالحكمة – كما نفهمه منها_هو السير على الطريقة الواقعية للعمل ، ونعني بها تلك التي تلاحظ الواقع الخارجي للمجتمع الذي تعيش فيه، وتدرس ظروفه العقلية والفكرية والنفسية والاجتماعية ، وتضع كلّ ذلك في حسابها قبل بداية العمل))[٢٩]، وهكذا ندرك الإيحاء البعيد للمفردة القرآنية فتتحرك عنده في الساحة، ولا تتجّمد في معانيها اللغوية .

**٢- في مجال السنن التاريخية:**الأحداث التاريخية في القرآن الكريم سجل حافل مصحوبٌ بالنسمات، حمل في طياته السفرات، وتَرْجَم للرحلات، وسطّر العبر، وعرض أحسن القصص، وأبعاد الزمان والحضارات، فالسبيل الصحيح للتعرّف على لبّ حركة التاريخ البشري، وإدراك سننها وقوانينها والعناصر المؤثرة فيها، وفهم الروابط التي تشدّها إلى الواقع الحاضر، وإلى المراحل المستقبلية، لا يتمّ إلا بالرجوع إلى كتاب الله العظيم، فهو الوحي المنَّزل من العليم الخبير المحيط بكلّ شيء، وهو القول الفصل في كلّ أمر، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾ (سورة النساء/١٢٢)، وسرُّ الرجوع إلى القرآن الكريم في فهم حركة التاريخ، واكتشاف قوانينها، وسننها الحاكمة، يعود إلى ضعف القدرات الإنسانية، وعجز الوسائل المتاحة على إدراك ذلك [٣٠] .

أَيقن فضل الله أهمية الأحداث التاريخية في القرآن الكريم ، واستنطق النصوص الدالة على ذلك واستوحاها من الواقع بحسب معالجات النص القرآني وأحداثه، فهو يرى : أن معالجات القرآن في الماضي انطلقت في ضوء سنن الله في الكون والإنسان لا من خلال خصوصيةٍ في الزمان والمكان والأشخاص ، فلذلك نستطيع أن نأخذ بها في الحالات المماثلة ، مما يجعلنا نتحرّك بها في الحاضر و المستقبل ، لأنَّ سنة الله لا تتبدّل ولا تتحوّل، ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلا ﴾( سورة فاطر/ ٤٣ )[٣١].

ففي قوله تعالى:﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ ( سورة الكهف/ ١٠ )، يستوحي فضل الله درسًا مهمًا من هذا الحدث المهم ليجعله فعّالًا في وسط الساحة ويمثله في الواقع فيعطيها بعْدًا تربويًا ، فيرى في ظلّ هذه الآية لزوم الرجوع إلى الله(جلّ جلاله) في الأوقات كلّها، وهذا (( ما قد يحتاج العاملون في سبيل الله إلى استلهامه في أوقات الشدّة ومواضع الحيرة، عندما تضغط عليهم القوى الكافرة والطاغية بضغوطها الوحشية والهمجية، ويتحيّرون في مفترق الطرق، فلا يعرفون إلى أين يسيرون ؟ إن الرجوع إلى الله في طلب الرحمة، وتهيئة سبيل الرشاد، يمنح المؤمنين العاملين قدرًا كبيرًا من الاستقرار الروحي، والطمأنينة النفسية، والهدوء الفكري، والثقة بالمستقبل من خلال الثقة بالله، والاطمئنان إليه، والركون إلى ساحته الحصينة(...) وبذلك يمكنهم مواصلة الطريق نحو الهدف الكبير، بالرغم من كلّ الصعوبات والتحديات التي تحيط بهم من كلّ جانب ))[٣٢].

**المطلب الثاني:مناهج التفسير التي اعتمد عليها فضل الله في تفسيره**

**أولًا: تفسير القرآن بالقرآن:** يعدّ تفسير القرآن بالقرآن من أشهر طرق التفسير، وأكثرها إيضاحًا، وأشدها يقينًا، لأنه يشهد بعضه على بعض، ونقصد به توضيح آيات القرآن الكريم بواسطة آيات أخرى تكون بمثابة المصدر بهدف الوصول إلى المراد من معاني القرآن الكريم وبيان مضمونها، يقول محمد مصطفوي : ((

نعني بتفسير القرآن بالقرآن منهج مقابلة الآية بالآية والنص بالنص بهدف الوصول إلى المراد من معاني القرآن))[٣٣] ، ويرى محمد الأصفهاني : (( توضيح آيات القرآن بواسطة آيات اخرى، وبيان مقصودها، وبعبارة أخرى : تكون آيات القرآن بمثابة المصدر لتفسير آيات أخرى ))[٣٤]، والقرآن بيان لكلّ شيء فمن غير الممكن أن لا يكون مبيّنًا لنفسه ، فلا بدّ من الرجوع إلى القرآن نفسه، وتفسير القرآن بالقرآن [٣٥] ، لاشك هو أتقن مصدرٍ لتبين القرآن هو القرآن نفسه،لأنه ينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض [٣٦] ، ولا جَرَم أنّ هذه التصورات قد استمدّت من فهم الإمام علي (عليه السلام) وتَصوّره لهذا المرتكز المهم ، قال (عليه السلام) : (( ما جاء مبهمًا في موضع منه جاء مفصلًا ومبينًا في موضع أخر ))[٣٧]، وقد تنبه فضل الله إلى هذا منهج ( تفسير القرآن بالقرآن ) ، فالآيات توضح بواسطة آيات أخرى، في ظلّ مقابلة آية بآية أخرى تحمل الدلالة نفسها، بهدف الوصول إلى معاني القرآن الكريم، والأمثلة على ذلك كثيرة، نذكر نماذج منها :

فعند تفسيره قوله تعالى :﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ (سورة الفاتحة /٧ ) ، إذ بيّن فضل الله الذين أنعم الله عليهم، ومستحقي النعم، ووضّح التحديد الواقعي لهذا الصراط في النماذج التي تتحرّك ، وتلتزمه ، بما وضّحه وما أشار إليه القرآن الكريم في آية أخرى ، عن الذين أنعم الله(جلّ جلاله) عليهم في النماذج الحيّة المتحرّكة في خطّ توحيد الله وطاعته ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴾( سورة النساء /٦٩ )، وهذا يعني أن الصراط المستقيم هو صراط هؤلاء الذين أنعم الله (عزّوجلّ) عليهم ممّن رفع الله(جلّ جلاله) درجتهم في خطّ الإسلام، والإيمان بالله ، والسير في موقع رضاه[٣٨] .

ظهر لنا أن الصراط المستقيم مخصوص لإولي الدرجات الرفيعة من الطبقة المؤمنة بالله (جلّ جلاله) ، ويقرّب ناصر مكارم الشيرازي معنى الصراط المستقيم ، فيرى بأنه : (( هو دين الله ، وله مراتب ودرجات لا يستوي في طيّها جميع الناس، ومهما سما الإنسان في مراتبه ، فثمة مراتب أخرى أبعد وأرقى))[٣٩] ، ويتبادر إلى أذهاننا أن الصراط المستقيم يشكّل خطًّا وطريقًا لا يناله إلّا ذو الدرجات التي أنعم الله عليهم ، وهؤلاء هم الذين عاشوا تجارب الإيمان الحركي عملًا وقولًا وجهادًا ، يقول سيد قطب في تفسيره مُجلّيًا الصراط المستقيم : (( وهذا الأمر هو أعظم ، وأول ما يطلب المؤمن من ربّه العون فيه ، فالهداية إلى الطريق المستقيم هي ضمان السعادة في الدنيا والأخرة عن يقين ، وهي في حقيقتها هداية فطرة الإنسان إلى ناموس الله الذي ينسق بين حركة الإنسان إلى ناموس الله الذي ينسق بين حركة الأنسان، وحركة الوجود كلّه في الاتجاه إلى رب العالمين ))[٤٠] .

وعند تفسير قوله تعالى :﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً ﴾ ( سورة الإسراء/٤٢ ) ، يرى فضل الله أن هذه الآية تدلّ على وحدانية الله ( جلّ جلاله ) ونفي كلّ تعددية ، وتنفي الشريك عن الله سبحانه وتعالى فإن الشراكة في الإلوهية تنفي قدرة الشريك على مواجهة شريكه ، وذلك لما يملكه من أسباب القدرة التي تفرضها طبيعة الصفة في ذاته ؛ مما يعني أن فكرة الشريك ليست واقعية ، ولا تخضع لأي أساس ثابت ، ولعل مساق هذه الآية هو مساق قوله تعالى :﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾( سورة الأنبياء/ ٢٢)[٤١] ، تجلى لنا يتبيّن لنا في ظلّ هذه الآية نفي الشرك والتعددية عن الباري سبحانه وتعالى، فلو كان هناك إلهٌ من دون الله، لاختل النظام الكوني، فنظام الكون رتيبًا، منظّمًا، خاليًا من التناقضات والأحداث المختلة ، وهذا يدلّ على وحدانية المنظم الخالق،

يقول محمد تقي المدرّسي :(( لو كانت الآلهة متعددة ، إذا لاتخذت طريقها إلى السماء ، ولقاومت الإله الأكبر كما يدّعون وتمرّدت عليه ، ونالت منه واسترجعت حصتها من الإلوهية، ولاستطاعت أن تقهر الربّ سبحانه علمًا بأن لا حول لهم ولا طول، فكيف تُتّخذُ آلهة من دون الله ))[٤٢] .

ولما فسّرَ فضلُ الله قوله تعالى :﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ( سورة البقرة /٢٥ ) بيّن (( أنَّ معنى الأزواج المطهرة ، بقرينة ما ورد في القرآن الكريم عن الحور العين كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء ۝ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴾( سورة الواقعة /٣٥-٣٦)، فتكون الطهارة كناية عن البكارة على هدى قوله تعالى :﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانّ ﴾(سورة الرحمن /٥٦) ))[٤٣].

ثانيًا: التفسير الموضوعي للسورة القرآنية :

تعدّدت آراء العلماء والباحثين في تحديد معنى التفسير الموضوعيّ ، ولابدّ لنا من الإشارة إلى بعض آرائهم للإفادة في معرفة هذا النوع ، وهذه الطريقة في التفسير ، فقد حدّد محمد هادي معرفة التفسير الموضوعي : (( بأنه البحث وراء الحصول على نظريات قرآنية ذات محورية خاصة تمسّ جوانب الحياة الفكرية الثقافية والاجتماعية ، بحثًا من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بشأن تلك المواضيع ، فهي مسائل ودلائل ذات صبغة قرآنية بحتة ، واستنتاجات مستحصلة من ذات القرآن، ومن داخله بالذات ))[٤٤] ، ويرى الدكتور حكمت الخفاجي بدراسته عن( التفسير الموضوعي ) في القرآن الكريم دراسة تأصيلية قديمًا وحديثًا، ومناقشة آراء العلماء القائلين به، أنه ((معرفة أحوال مجموعة من الآيات القرآنية في موضوع محدّد ، مرتبّة على حسب النزول تارة ، وغير مرتبة تارة أخرى من حيث دلالته على مراد الله تعالى بتيسير فهمه إلى المتلقي في كيان واحد ، وهيأة تركيبية متجانسة ، لا يفصل بينها فاصل، فيصبّ ذلك في بحث مستقل يكون موضوعه ما في الآيات من موضوع ))[٤٥] ، ويمكننا القول : إن التفسير الموضوعيّ هو دراسة آية ذات موضوع ، ثم تتبّع الآيات المشتملة على الموضوع نفسه ؛ فتكون قضية مهمه لكلّ جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وعمد فضل الله على موضوعات القرآن في تفسيره ، فقد كانت آيات القرآن ذات الموضوع الواحد عنوان للمناقشة والتقصي والبحث من أجل الوصول على خلاصة ناجحة ، فقد حشّد النصوص ذات الموضوع الواحد، وتتبّعها من أجل أن يبيّن النص القرآني، واستعمل هذا الأسلوب بصورة منفتحة على الآيات، فأدخل في آيات الله ذات الموضوع نظائرها من الموضوعات القرآنية .

وسنرصُد بعضًا من النماذج ، من أجل بيان هذا المنهج التفسيريّ المهم ، واستجلائه .

**أ- ذكر لفظ الجلاله ( الله )**

ففي عرضه لبيان معنى ذكر الله في عنوان الافتتاح بالبسملة ، خلص إلى أن يدخل في رحاب القرآن ، واستعرض الآيات الكثيرة التي تؤكّد على ذكر الله ( جلّ جلاله ) وحشّد الآيات التي تحدّثت عن ذكر الله ، قال تعالى :﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلا ﴾ ( سورة الأنسان /٢٥) وقوله تعالى :﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾ ( سورة الأعراف/٢٠٥) ، يرى في ضوء هذه الآيات أن الله ( جلّ جلاله ) أراد أنْ نذكره عندما نبدأ في مقام التسبيح باسمه ، وفي مقام الانفتاح على التزكية ، وعلى الصلاة ، قال تعالى :﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾( سورة الأعلى/١ ) ، وقوله تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى۝ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾( سورة الأعلى/١٤-١٥) ، وبيّن في ظلّ هذه الآيات بأن الله (جلّ جلاله ) أراد أنْ نذكره عندما نبدأ القراءة ، لتكون القراءة باسمه ، قال تعالى :﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾( سورة العلق/١)، واستظهر في ظلّ هذه الآيات أن هناك حكمًا شرعيًّا وهو التأكيد على أن الحيوان لا يحلّ ذبحه إلّا إذا ذكر اسم الله عليه ، قال تعالى : ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾

( سورة الانعام /١١٨)، وفي ظلّ تحشيده للنصوص التي تتناول مسألة ذكر الله استطاع أنْ يبيّن مسألة ذكر الله( جلّ جلاله ) قال : (( إننا نستطيع أن نخرج من هذا العرض السريع بنتيجة محددة ، وهي أن الله يريد لعباده أن يذكروه دائما في كلّ أمورهم ، وأنْ يربطوا به كلّ تحرّكاتهم وأوضاعهم ، ليضلّ وعيهم الإيماني في الحضور الإلهي في فكرهم وشعورهم منفتحًا على الله ، وليبقى إحساسهم متحرّكًا في نطاق ارتباط كلّ الأشياء به))[٤٦] .

ويصوّر لنا سيد قطب ذكر الله بأنه : (( الاتصال به ذِكْرا ، وعبادة ، ودعاءً ، وتسبيحًا ))[٤٧]، ولا ريب أن ذكر الله له آثار إيجابية على النفس ، قال تعالى:﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ ( سورة الرعد/٢٨).

**ثالثًا: تفسير القرآن بمرويات أئمة أهل البيت ( عليهم السلام ) :**

تُعدّ روايات أهل البيت ( عليهم السلام ) ضمن شروط خاصة حجّة في التفسير ومصدرًا له ، كما هو الحال بالنسبة إلى الروايات التفسيرية للنبيّ ( صلّى الله عليه وآله وسلم ) ، أي إنَّ بيانهم امتداد لبيان النبي ( صلّى الله عليه وآله وسلم ) ، ويذكر الأستاذ محمد الرضائي أدلة على ذلك : أولًا: حديث الثقلين الذي روى عن النبي ( صلّى الله عليه وآله وسلم ) بصورة متواترة عن الشيعة والسنة قال : (( إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ما إنْ تمسكتم بهما، لن تضلوا أبدا حتى يرد عليّ الحوض ))، ففي هذا الحديث جعل التمسك بهما شرطًا لعدم ضلال المسلمين، فإذا لم يتمسّكوا، أو تمسّكوا بأحدهما فمصيرهم الضلال حينئذ ، فأهل البيت (عليهم السلام) هم حجّة إلى جانب القرآن، وهذه الحجّيّة ليست إلا حجّية سنتهم ( قولهم، وفعلهم، وتقريرهم)، ورواياتهم التفسيرية تعد جزءًا من سنتهم ، فهي حجة معتبرة .

ثانيًا: روي عن أئمة أهل البيت ( عليهم السلام ) أنهم قالوا : (( فإنا إذا حدثنا قلنا : قال : الله ( عزّوجلَّ )، وقال رسول الله ( صلّى الله عليه وآله وسلم ) )).

ثالثًا: ملازمة الإمام علي (عليه السلام)(ت٤٠ه) والأئمة (عليهم السلام) من بعده [٤٨] ، وهذه الأدلة تدل على رواج أقوال أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وحجيتها وثباتها ، لكونهم معصومين ، وكلامهم حجة ، وفي ضوء ذلك يقول أبو القاسم الخوئي(ت١٤١٣ه) : (( فالعترة هم الأدلاء على القرآن ، والعاملون بفضله ، فمن الواجب أنْ نقتصر على أقوالهم ونستضيء بإرشاداتهم ))[٤٩] .

إن الرجوع إلى أقوال أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في بيان القرآن الكريم وتفسيره مسألة الزامية ، لأن أئمة أهل البيت(عليهم السلام) ، أدّلاء على القرآن لكونهم معدن العلم، ومهبط الوحي فضلًا عن كونهم معصومين ، وفي ظلّ ذلك فقد انطلق فضل الله متتبّعا آثار أهل البيت (عليهم السلام) ، ليستوحي أقوالهم وآرائهم في آيات القرآن الكريم ، فقد جاء تفسيره زاخرًا بفكر أهل البيت (عليه السلام) ، ممّا يدلُّ على اطلاع فضل الله، وإفادته من فكر أهل البيت (عليهم السلام) ومرويّاتهم، ففي تفسير قوله تعالى :﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾( سورة البقرة/٧ ) ، ينقل ما جاء عن الإمام الرضا (عليه السلام) (ت٢٠٣ه) في البحار عندما سئل عن معنى قوله تعالى :﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ﴾ ، قال ( عليه السلام ): (( الختم هو الطبع على قلوب الكفار عقوبة على كفرهم ، كما قال تعالى: ﴿ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ( سورة النساء/١٥٥) ))[٥٠] .

ثم يعلق على هذا القول؛ (( إن المقصود بالعقوبة ؛ النتيجة التكوينية للكفر بلحاظ أنه يغلق القلب عن وحي الحقيقة الإيمانية ،فكأن الله (جلّ جلاله) يجعل انغلاق القلب عقوبة له ))[٥١] ، ويرى الطباطبائي :

(( نسب الختم إلى نفسه تعالى ، والغشاوة إليهم أنفسهم بأن فيهم حجابًا دون الحق في أنفسهم وحجابًا من الله تعالى عقيب كفرهم وفسوقهم ، فأعمالهم متوسطة بين حجابين : من ذاتهم ومن الله تعالى )) (٥٢) .

وما ندركه في ظلّ هذين التوضيحين أن الكافرين طبع على كفرهم ؛ لأنهم لم يستثمروا قلوبهم وعقولهم، ولا سمعهم المؤدّي إلى القلب، فلا فكروا هم بأنفسهم وهم سمعوا كلام المفكرين، فتبلّدت عقولهم، ولم تعد تعمل، وتركهم الدعاة فلم يعودوا ينصحونهم (٥٣) .

ويستعين فضل الله كذلك بأقوال أئمة البيت (عليهم السلام) لبيان الحكمة في التشريع ، وهذا ما نراه في قوله تعالى :﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾( سورة المائدة/٣ ) ، يستعين بالحديث المروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) في تحليل السّر في تحريم الميتة ، في ما روي عنه أنه قال : (( أما الميتة، فإنه لم ينل منها أحد إلاّ ضعف بدنه ، ووهنت قوته،وانقطع نسله،ولا يموت آكل الميت إلا فجأة ))(٥٤).

ثم يناقش هذا الحديث بأن هذه الخصائص السلبية من مستلزمات الموت حتف الأنف لا من خصائص الفاقد لبعض شروط التذكية الشرعية ، أما الحاق غير المذكى بالميته في الحرمة، فهو ما قد يستفاد من آية المائدة ، أو من الاحاديث الواردة في السنة الشريفة(٥٥) .

**خاتمة البحث ونتائجه :**

١. ظهر أن المنهج الحركي هو المنهج الذي يواكب الواقع ويرصد الأحداث ، وهو طريق يسلكه المفّسِر في تفسيره لـ( القرآن الكريم ) ،إذ يعمل على إثارة الواقع الحركي الإسلامي ، وتكشيفه ، فضلًا عن ذلك مواجهة الواقع المنحرف في كل مرحلة من مراحل الصراع الفكري والعقدي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي والجهادي.

٢. النظرية الحركية التفسيرية عند فضل الله هي جعل القرآن يتحرك في الساحة ، في ضوء تمثيل الخطاب القرآني على الواقع في ظلّ حياة الإنسان ومجالات حياته .

٣ . تجلّى لنا أثر المنهج الحركي في تطور التفسير ، ففي مجال المفردة القرآنية تزداد البنية الفكرية للخطاب القرآن ، إذ تعطي سعة موضوعية وايحاء بعيد في ميادين الحياة كلّها كـ(الإنفاق) في قوله تعالى :﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾( سورة البقرة / ٣ )، فالإنفاق يشمل بثّ العلم والمعرفة، ويشمل كذلك كلّ شيء يدلّ على الخير، أما في مجال السنن التاريخية ، فتبرز الأحداث التي جاءت في القرآن الكريم ، كأنمَّا نعيشها اليوم ، كما في الأحداث التي جاءت في سورة الكهف التي مثلت نموذج الفتية، والشباب المؤمن .

**الهوامش**

(١) ينظر: للإنسان و الحياة ، محمد حسين فضل الله ، ٢٩٠ .

(٢) ينظر: دور القرآن الكريم في بناء نهضة الأمة ووحدتها ، مجموعة من الباحثين ، ٧٥-٧٦ .

(٣) ينظر: للإنسان والحياة ، ٢٩٠ .

(٤) ينظر: المنهج الحركي في القرآن الكريم ، عبود الراضي، ٦٠ .

(٥) ينظر: بيانات ، شفيق الموسوي ، ١/١ .

(٦) مِن وحي القُرْآن ، محمد حسين فضل الله ، ١٠ / ٣١١ .

(٧) ينظر: مِن وحي القُرْآن ، ١٠ / ٣١٢ .

(٨) الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي ، ٣ / ٤٢٢ .
(٩) ينظر: مِن وحي القُرْآن ، ٦ / ١٩١ .
(١٠) سلسلة الندوة ، حوارات مع السيد فضل الله اعداد عادل القاضي، ٦ / ٤٠٦ .
(١١) تفسير العياشي ، أبو النضير محمد بن مسعود ، ١ / ٨٥-٨٦ .
(١٢) بحار الأنوار ، محمد باقر المجلسي ، ٢ / ٣٩٨ ، باب :١٤ ، رواية : ٣٨ .
(١٣) مِن وحي القُرْآن ، ١ / ١٥-١٦ .
(١٤) مِن وحي القُرْآن ، ١ /١٦ .
(١٥) القرآن نهج وحضارة ، عبد الشهيد مهدي الستراوي ، ١٣ .
(١٦) مِن وحي القُرْآن ، ١٠/ ٣٥٥-٣٥٦ .
(١٧) مِن وحي القُرْآن ، ١٠/ ٣٥٦ .
(١٨) التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية ، ٣/ ٤٦٥ .
(١٩) القرآن القول الفصل بين كلام الله وكلام البشر ، محمد العفيفي ، ٥١ .
(٢٠) سلسلة الندوة ، ٢٤١/١ .
(٢١) مِن وحي القُرْآن ، ١ / ٢٥ .
(٢٢) التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، ١ / ٥٧ .
(٢٣) مِن وحي القُرْآن ، ١ / ١١٩ .
(٢٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي، ١/ ٦٨ .
(٢٥) كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ١(مادة حكم) / ٣٤٣ .
(٢٦) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، السمين الحلبي ، ١/ ٤٤١ .
(٢٧) الميزان في تفسير القرآن ، ١٢/ ٣٧٢ .
(٢٨) ينظر: مِن وحي القُرْآن ، ١٣/ ٣٢٢ .
(٢٩) مِن وحي القُرْآن ، ١٣/ ٣٢٢ .
(٣٠) ينظر: حركة التاريخ في القرآن الكريم ، د. عامر الكفيشي ، ٢٥ .
(٣١) ينظر: مِن وحي القُرْآن ، ١/ ١٩-٢٠ .
(٣٢) مِن وحي القُرْآن ، ١٤/ ٢٨١ .
(٣٣) أساسيات المنهج والخطاب ، محمد مصطفوي ، ٧٦ .
(٣٤) مناهج التفسير وأتجاهاته ، محمد علي الرضائي، ٤٩ .
(٣٥) ينظر: الميزان في تفسير القرآن ، ١/ ١٥ .
(٣٦) ينظر: التفسير و المفسرون ، محمد هادي معرفة ، ٥٣٩/٢-٥٤٠ .
(٣٧) نهج البلاغة ، الإمام علي ( عليه السلام ) ، ١٩٢ .
(٣٨) ينظر: مِن وحي القُرْآن ، ١/ ٨٥-٨٦ .
(٣٩) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ١/ ٤٦ .
(٤٠) في ظلال القرآن ، سيد قطب، ٢٦/١ .
(٤١) ينظر: مِن وحي القُرْآن ، ١٤ / ١٢٨ .
(٤٢) من هدي القرآن ، ٤ /٤٣٨ .

(٤٣) مِن وحي القُرْآن ، ١/ ١٩٤ .

(٤٤) التفسير والمفسرون ، ١٠٣٧/٢ .

(٤٥) التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، د. حكمت عبيد الخفاجي ، ٣٠ .

(٤٦) مِن وحي القُرْآن ، ٣٦/١-٣٧ .

(٤٧) في ظلال القرآن ، ٦/ ٣٧٨٦ .

(٤٨) ينظر: دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية ، محمد علي الرضائي ، ٨٥ .

(٤٩) البيان في تفسير القرآن ، أبو القاسم الخوئي ، ١٨ .

(٥٠) بحار الأنوار ، ٤٣٥/٥ ، باب: ١ ، رواية: ١٧ .

(٥١) مِن وحي القُرْآن ، ١٣٣/١ .

(٥٢) الميزان في تفسير القرآن ،٥٥/١ .

(٥٣) ينظر: من هدى القرآن ، ١٥٩/١ .

(٥٤) من لا يحضره الفقيه ، محمد بن علي الصدوق ، ٣٤٥/٣، باب :٥٢ ، رواية: ٤٢١٥ .

(٥٥) ينظر: من وحي القرآن ، ١٨٩/٣ .

**المصادر والمراجع**

**القرآن الكريم .**

أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره،محمد مصطفوي،مركز الحضارة،الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م .

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي ، مدرسة الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، قم- ايران ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦ق- ١٣٨٤ش.

بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الاطهار ، محمد باقر المجلسي (ت١١١٠ه) ، دار احياء التراث العربي ، بيروت -لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ه- ١٩٩٢م .

البيان في تفسير القرآن ، أبو القاسم الخوئي ، منشورات أنوار الهدى ، الطبعة الثامنة ، ١٤٠١ه-١٩٨١م.

بينّات حوارات فكرية في شؤون الدين والإنسان والحياة،شفيق محمد الموسوي،دار الملاك،العدد الأول،١٩٩٩م.

التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت٤٦٠ه) ، دار احياء التراث العربي ، بيروت- لبنان ، د.ت.

تفسير العياشي، أبو النظير محمد بن مسعود (ت ٣٢٠ ه) ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم- ايران ، د.ت.

التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية ، دار الأنوار ، بيروت- لبنان ، الطبعة الرابعة ، د.ت.

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، الدكتور حكمت عبيد الخفاجي ، دار الرضوى ، عمان، الطبعة الأولى ، ١٤٣٤ه- ٢٠١٣م.

التفسير والمفسرون ، محمد هادي معرفة ، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية ، مشهد- ايران ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٦ق- ١٣٨٤ش.

حركة التاريخ في القرآن الكريم ، الدكتور عامر الكفيشي ، دار الهادي ، بيروت- لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ه- ٢٠٠٣م .

دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن ، محمد علي الرضائي الاصفهاني ، مركز المصطفى العالمي ، قم- ايران ، الطبعة الثانية ، ١٢٣١ق-١٣٨٩ش.

دور القرآن الكريم في بناء نهضة الأمة ووحدتها ، مجموعة من الباحثين ، دار المعارف الحكمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ، ١٤٣٦ه- ٢٠١٥م .

سلسلة الندوة ، اعداد عادل القاضي ، دار الملاك ، بيروت – لبنان ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٨ه- ١٩٩٨م .

عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦ه) ، تحقيق: باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ه- ١٩٩٦م.

في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة- مصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢م.

القرآن القول الفصل بين كلام الله وكلام البشر، محمد العفيفي،مجمع البحوث الإسلامية،القاهرة-مصر، د.ت .

القرآن نهج وحضارة ، عبد الشهيد مهدي الستراوي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت- لبنان ، د.ت.

كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠ه) ، تحقيق : الدكتور عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤ه،- ٢٠٠٢م .

للإنسان والحياة ، محمد حسين فضل الله ، اعداد : شفيق الموسوي ، دار الملاك ، بيروت -لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢١ه-٢٠٠١م .

مَنْ لا يحضره الفقيه ، محمد بن علي الصدوق (ت٣٢٩ه) ، دار الكتب الإسلامية ، طهران- ايران ، د.ت.

من هدى القرآن ، محمد تقي المدرسي ، دار القارئ ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٩ه-٢٠٠٨م.

من وحي القرآن ، محمد حسين فضل الله ، دار الملاك ، بيروت-لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩ه-١٩٩٨م.

مناهج التفسير وأتجاهاته،محمد علي الرضائي،تعريب:قاسم البيضاني،مركز الحضارة،الطبعة الأولى،٢٠١٠م.

المنهج الحركي في القرآن الكريم،عبود مزهر الراضي،دار المنتدى،بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠٦م .

الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت- لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ه- ١٩٩٧م.

نهج البلاغة، الإمام علي (عليه السلام) ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٥ه-١٩٦٥م .